بناة الفكر الإسلامي في العصور الحديثة

حينما شرعت في كتابة هذه الحلقات ، انشغلت بمصطلحي دعوة وحديثة ، حيث يظن البعض ، أن كلمة دعوة ، هي تستخدم لدعوة غير المسلمين – ولكن في الإستخدام القرآني ، تستخدم في الحالتين على غرار ما ورد في سورة البقرة آية 186– وإذ سالك عبادي عن ، فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ، بمعني سألني . وفي سورة الروم آية 25 يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ؟ وهذه المقال يتكلم عن الدعوة بمعني الأحياء ، أحياء قلوب العباد لمطلوبات التنزيل ومن قبل عنون ابوحامد الغزالي كتابه الشهير باحياء علوم الدين – ومصطلح دعا دعو ، تردد كثيرا في القرآن الكريم عشرات المرات .

اما حديث ، فقد ورد كذلك كثيرا ولكن استعملته على نحو كما ورد في الآية " ما يأتيهم من ذلك من ربهم محدث " الأنبياء آية 2.

على حسب ما ذكر ، فإن العالم الإسلامي والفكر الإسلامي ، دخل في بيات في الأربعمائة سنة الأخيرة، ويكفي ضياع الأندلس ثم القبول بالاستعمار ثم التبعية للدلالة على انحطاط الوضعية الإسلامية – ولعل أهم الإستجابات الحديثة ، هو ما وقع على يد الإمام حسن البنا ، الذي بدأ بمشروع صغير في الإسماعيلية ووسط عمال قناة السويس عام 1928 ، وفي ظروف ما بين الحربين الاولي والثانية أي في منتصف الثلاثينيات ، ملأ المشروع الفراغ الفكري والاجتماعي والسياسي الذي فشل في ملئه الأزهر والكيانات الإسلامية التقليدية . ومثل المشروع ظاهرة تقدمية اجتماعية وخيرية ، ممثلة في عشرات المدارس والمستوصفات والجمعيات الطوعية والخيرية ، كما أن المشروع دخل في حركة مقاومة الاحتلال الإنجليزي في قناة السويس ومقاومة المشروع الصهيوني في فلسطين ، واحدث المشروع وعيا جمعيا ومجتمعيا على مستوى العالم الإسلامي ، وأصبحت له امتدادات في الشام والعراق وفلسطين والسودان ، كما برز له كتاب وأدباء حركوا المشاعر والعقول كمحمد الغزالي وسيد قطب والبهي الخولي ومصطفي السباعي واختلفت كتاباتهم تماما عن المكتبة الإسلامية التقليدية التي من رموزها الشيخ محمود شلتوت من الأزهريين والاستاذ عباس محمود العقاد وطه حسين من التنويريين .

تميزت كتابات البنا ومدرسته بالدعوة للعمل والحركة والمساهمة في حل قضايا الأمة ومكافحة الاحتلال والصهيونية والنزول الأرض المعركة للتحقق والتحقيق، بينما لم ينشغل جيل العقاد وطه حسين ولطفي السيد ومن شاكلهم بمقاييس النهضة الإسلامية وقضايا الأمة والمأزومية الروحية . بل إن بعضهم كان يرمي من الخندق المضاد ، بالقبول بمطلوبات الدولة الحديثة والعلمانية والتبرؤ من الدعوة الإسلامية . ويكفي أن محمد عبده في أواخر ايامه 1955- 1904 رأى أن الحل في التحالف مع كرومر وممثلي الاحتلال لتجديد الخطاب الإسلامي الأزهري واوضاع المحاكم الشرعية .

ويمكن القول أن الثورة المصرية بقيادة الضباط الأحرار كان للاخوان المسلمين فيها سهم ليس بالصغير، بدليل أن اول ما فعلوه بعد الثورة زيارة قبر المرحوم حسن البنا وحلهم للأحزاب باستثناء حركة الاخوان . وحسن البنا مشروع لم يكتمل ، لأنه اغتيل وعمره 43 سنة مولود 1906 واغتيل فبراير 1949 ، كما أن حركة الاخوان تعرضت لابتلاءات متتالية في السنوات 1944 ، 1954 ، 1962 - 1966- 1980م وانتهاءً بأزوميتها الكبرى في ظرفنا الحاضر.

وتدخلت عوامل محلية وإقليمية ودولية في خطف الحركة الإسلامية وتعريضها للسجون والاغتيالات والهزات ولكن كذلك ، فإن عدم قدرة الحركة على المناورة وتهورها في المنازلة والخصومة لسلطان الدولة ، عرضها لمشاكل وابتلاءات كان يمكن التقليل من حدتها ، حيث كان يمكنها تجنب الإصدام بالمشروع الناصري وبالدولة العميقة . وكذلك فقد كان هناك أصداما أشبه بالمغامرة غير المحسوبة في مجابهة انقلاب يونيو 2013م المدعوم عسكريا ، حيث لايمكن أن يتجابه الإنقلاب ساعة اعلان بيانه وقد رأينا التكلفة العالية لذلك في أحدث رابعة العدوية الدامية والمحزنة وما تولد منها حتى يومنا هذا ، مما ينذر بشر مستطير قد لا تسلم منه حتى الدولة المصرية في أيامها المقبلة .

كان الإمام البنا طاقة متجددة ، وصاحب قدرة فائقة على التواصل ويمكن اختزال نجاحه ، في قدرته على التواصل ، فهو صاحب مشروع تواصلي ويكشف عن ذلك ، كتابه مذكرات الدعوة والداعية ، حث بعد صلاة التهجد يذهب للمسجد لصلاة الفجر ثم درس بعد الصلاة وآخر بعد صلاة العصر – والعمل في مدرسته ومساء الذهاب للمركز العام لمقابلة الوفود بالإضافة إلي الندوات ، لم يكن حسن البنا صاحب مشروع فكري حيث كتاباته قليلة ، رسائل معدودة ، ولكنه

صاحب مشروع تواصل حركي يقوم على حسن التنظيم والطاعة والمبايعة ، وبذل الخير وإصلاح الشأن العام مع العمل الدؤوب ومتابعة تطورات الأحوال الداخلية والخارجية ووضع نصب عينيه مقاومة الإحلال الإنجليزي الأجنبي في قناة السويس والمشروع الصهيوني في فلسطين .

وبعد 66 سنة من اغتيال البنا و87 عاما من تأسيس نواة الحركة ، ما تزال حركة الأخوان هي كبري الحركات الإسلامية في العالم ، وخرجت من صلبها عشرات الحركات الصغيرة ، التي لم تصبر على منهجها ، مثل حركات الجهاد والتكفير والهجرة والجماعات الإسلامية ، كما أنها تسيطر على كثير من المراكز الإسلامية عبر العالم وتتواصل عبر التنظيم الدولي للإخوان الذي هو مجرد ملتقى للتنسيق والتعارف والمشاركة في بناء الخط العام ، ولحركة الأخوان منتدياتها ومواقعها الإخبارية وقنواتها الفضائية وشبكاتها الممتدة ولا تضاهيها في ذلك إلا حركة الخدمة التركية .